التحولات النقدية في الفكر الفلسفي

أ.م. د. منتهى عبد جاسم(*)

الكلمـــات المفتاحيـــة : النقـد – المنهـج- العقلي- المثالي – الديالكتيك المادي

ملخص البحث

مما لا شـك فيـه ان كل فلسـفة اصيلة هي بالاساس فلسـفة نقدية،لان الفلسفة والنقد سيان حضور احدهما يعنـي حضور الاخر والعكس صحيح، فالفلسـفة وتاريخها قائمان على قاعدة النقـد، أن الغـرض من اسـتدعاء النقد كمفهوم فلسفي هو لبيان التحولات التي اتخذها في سياق تشكله في الفكر الفلسفي باعتباره ثورة معرفية أعـادت ترتيـب أوضـاع العقـل وحملته على مراجعة كثير من مفاهيمه ومقولاته الكبرى.

وعلى أسـاس هذا علينا أن نبحث ابتدءاً عن معنـى النقـد والياته او ادواته؟ مـاذا ننقد ؟ هل للنقد غاية؟ وكيف تم استثماره فلسفيا؟

بحثـت أولا - توضيـح مفهـوم النقـد، والتوصيـف والتحليل للتفكير النقـدي، وكيفية تمظهره في فكر الناقد.

امـا ثانيـا- فبحثت فـي الجـذور التاريخية للنقد المنهجي التي تبدأ مع سـقراط وصولا الى ديـكارت ومعاصره فرانسـس بيكـون مرورا بالنقـد العقلـي مع كانط ثـم النقـد الديالكتيكي المثالـي الهيجلـي والنقـد الديالكتيكـي المادي الاقتصـادي مع ماركـس واخيرا النقـد القيمي النيتشـوي. وفي مسـيرة بحثنا اسـتعنا بالمنهج التحليلـي والمقارن والنقدي لتشـخيص أدوات تحول صور وتفاصيل الفكر النقدي.

التحولات النقدية في الفكر الفلسفي

نحن نعـرف بأن الفلسـفة وتاريخها قائمان على قاعدة النقد، فهل هذا يعني أن ماهية الفلسفة كتركيـب فكـري مفهومي ذي عمـق نقدي، ام انه تصور فلسـفي مفـارق ومتعالـي ؟ هل أن هنـاك علاقـة جدليـة مجتمعيـة وتاريخية بين التصـور المثالي الذي ينظر إلـى الحقيقة بانها جزء جوهـري من العلاقة بين الانسـان كذات

(*) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب- قسم الفلسفة

مفارقة لوجودة المادي والحسي وبين المنطلق العلمي الذي يتعلق بربط الحقيقة الانسانية بما هو طبيعي ومعطى واقعي حسي ؟ وهل يمكن للفكر الفلسفي النقدي ان يتجاوز بيئته الزمانية والمكانية ويكون منفتحاً على آفاق زمنية مختلفة بالتحرر من هيمنة الفكر القديم الذي ينظر للعقل في كينونته كجوهر وليس الى كينونته كأداة ؟ إذ سنقترب من الاجابات على هذه التساؤلات في سياق دراستنا عن الصور لتحولات الفكرية للفلسفة النقدية التي تجسدت جذورها في صور النقد المنهجي مع ديكارت الى جانب صورة كانط النقدية لما قبله وتحولت نحو صور النقد الديالكتيكي بصورتيه المثالية والمادية واخيرا صورة النقد الذي قلب الموازين مع نيتشة.

وعلى أساس هذا علينا ان نبحث ابتداءاً عن معنى النقد والياته او ادواته؟ ماذا ننقد ؟ هل للنقد غاية؟ وكيف تم استثماره فلسفيا؟

بحثت أولاً - توضيح مفهوم النقد، والتوصيف والتحليل للتفكير النقدي، وكيفية تمظهره في فكر الناقد التي يتوصل اليها بمقاربات مختلفة.

أما ثانيا- فبحثت في الجذور التاريخية للنقد المنهجي التي تبدءا مع سقراط وصولا الى ديكارت ومعاصره فرانسس بيكون مرورا بالنقد العقلي مع كانط ثم النقد الديالكتيكي المثالي الهيجلي والنقد الديالكتيكي المادي الاقتصادي مع ماركس واخيرا النقد القيمي النيتشوي. وفي مسيرة بحثنا استعنا بالمنهج التحليلي والمقارن والنقدي لتشخيص أدوات التحول وتفاصيل صوره التي بدأت ملامحه مع سقراط[1] عندما اسس السؤال الفلسفي بمنهجه التهكم والتوليد ذي التوجه النقدي، ثم شكل النقد عنصرا مهما في عصر الأنوار الى جانب العقل الذي ابتدأ مع دعوة فرانسس بيكون في بناء العقل الفلسفي الجديد، وهذا يتطلب التخلي عن المنطق القديم(الارسطي) ويحل محله المنطق جديد(الارغانون الجديد) الناقد بتخليص العقل من أوهام والاخطاء وديكارت. فتلك الإرهاصات هي التي دفعت الوعي النقدي إلى إعادة النظر في كل المقولات النقدية المطروحة عليه، ومواجهة النظريات النقدية السائدة، ووضعها موضع المساءلة، وذلك في موازاة البحث عن أفق جديد يفتح أبوابا أكثر جذرية للممارسة النقدية، وفعلا هو عصر النقد الجذري للعقل، وقد شكل كانط ومدرسته في هذا القرن الاساس الواعي للنقد الذي اجتاح النصف الأول من القرن العشرين إذ أصبح النقد ممنهجاً بأسسه وأهدافه كنظرية عملية.

النقد مفهوما فلسفيا :

أن الغرض من استدعاء النقد بوصفه مفهوماً فلسفياً، لا يختزل بمجرد رغبة في التعريف الأكاديمي بالمفهوم وسياقات نشأته، بل لبيان التحولات التي اتخذها مفهوم النقد في سياقات تشكله في الفكر الفلسفي باعتباره ثورة معرفية أعادت ترتيب أوضاع العقل وحملته على مراجعة كثير من مفاهيمه ومقولاته الكبرى من خلال ربط العلاقة النقدية بالصور والتحولات الفلسفية النقدية.فما هو النقد؟

أولا- التعريف بالنقد : ليس من الممكن تناول صور التحولات النقدية من دون الاحاطة بمفهوم النقد critique الذي يعني فحص مبدأ او ظاهرة للحكم عليه او عليها حكما تقويميا تقديريا.. وتتضمن القدرة العقليّة على الحكم لذلك يطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا

يأخذ بـأي قرارمن دون تسـاؤل أولاً عن قيمة هذا الاقرار سواء من حيث مضمونه(نقد داخلي او مـن حيـث اصله(نقد خارجـي)[٢]. النقد هو الحوار المتسـائل عما لم يسـال به وهذا سؤال يقلب الفلسـفة فهـو قلب سـمح ببنائهـا واقامة تركيبها.

فهـل ان النقد الخلاق نكشـف عنه كما قال ديـكارت : حالما انتهيت من برنامج دراسـتي الكامل...وجـدت نفسـي تحـت وقـع شـكوك واخطاء عديدة كانما ما تعلمته لم يكن الا كشـفا متزايـدا عن مدى جهلي[٣] لنجد ما يولده ويبينه مـن خـلال النظر فـي تشـعباته المترابطة في توجههـا نحـو فكر جديد، فهو حكـم مبني على اسـس منهجيـة قائمة علـى التحليـل والتدقيق للكشـف عن التناقضات وتشـخيص السـلبيات وازالة الغموض والالتباس بالمراجعة المستمرة لمواكبة مظاهر التغيـر لحركة الفكر، والجرأة على اسـتعمال العقل الخـاص المتجرد من أي معرفـة دوغمائية الباحث عـن الحقيقة واليقين من دون اي وصايـا قبلية، بل من خلال وصل الفكـر بالواقع المعاش، لذلك نجد صور مختلفة من التحولات التي رافقت الفكر النقدي بحسـب القضايا والمسـائل والإشـكاليات التي تؤثر في كيفية وجود الإنسـان فـي العالم،لاسـيما على المسـتوى الوجـودي، والمعرفـي، و ألقيمـي، فضلا عـن فهمـه للموجهات التي توجه سـير حركة المجتمع وهذا يتطلب وجود نشاط فكري يعمق الصلة بين الوعي الإنسـاني بعالمه على المستوى النظري والممارسة العملية، فالفلسفة النقدية التي تعتمد الكشف اذن هي افضل نشاط فكري يمكنها التعامل والاسـتجابة مع المواقف والحـالات، من خلال فعاليـة المعارضة والنقد والخلخلة للمواقف الجاهزة والحقائق[٤]

وبعد أن توضح لدينا فيما سـبق مفهوم النقد كمعنى اكاديمي وفلسـفي وهـو يختلف بطبيعة الحـال عن التفكير النقـدي. فالتفكير النقديّ هو نظام من طرائـق التفكير المترابطة والمتداخلة المعتمـدة علـى النظـر الـى الامـور بهـدف التمييـز، والمناقشـة من أجل التقويـم وتجاوز الواقـع، ودخـل النقد مجـالات عديدة اسسـت للتفكيـر فلسـفيا في هـذه المجالات منهـا : نقد الديـن ونقد الفن ونقد الاخلاق ونقـد العلم ونقد المجتمع ونقد السياسة، فالنقد يعبر عن الموقف الموضوعـي لمجمـل حياتنـا. وعليه سـيكون الناقد : هو الشـخص الماهر في تكوين الاحكام عن شـيء ما بعـد فهم لحقائـق مكنونات الفكر وابـراز معنى جديد باعتباره مفكرا يعيد النظر بالأسـس والقواعد التي تؤطر الواقع الإنسـاني عبر مقاربات جديدة، وعلى نحو مختلف لما هو سـائد في ضوء ممارسة نقدية بناءة وفاعلة عن طريق الحـوار و المقارنة الفلسـفيين، فالمفكر الناقـد هـو الـذي يتسـاءل و ينتقـد و يفكك، و يفضح الخروقات والانتهـاكات بجميع أنواعها وألوانها، يشده إلى ذلك الطموح لتجاوز العقم و التخلف الفكري السائد، و تكريس القطيعة الكلية مع التفكير الثابت و البديهي المقلد. لكن السؤال هنا هل للنقد مخاطر؟ بحسب رأي دريدا : نعم، لان بعض اشكال النقد قد تبقى اسيرة ما تنتقده، وقـد اعطى مثال ذلك ما وقع به المنهج البنيوي النقدي القائم بالأساس في بنائه على المركز.

ثانيا –التجذير النقدي في الفكر الفلسفي

١- النقـد المنهجـي التجريبي(فرانسـس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦)[٥]

رغم أن النقد سمة عامة للفكر الفلسفي الذي بدا مع الفكر اليوناني، والذي يسـير الفكر نحو

التغير هو المنهج النقدي، لاسيما في القرن السادس عشر والسابع عشر الذي كان مرحلة مهمة في تاريخ الانسانية، كونه عصرالنقد والزعزعة والهدم والموت التدريجي للعقائد الذي بدا مارتن لوثر(١٤٨٨-١٥٤٦) فرنسيس بيكون الى جانب ديكارت، إذ التقيا في جملة من الاعتبارات المنهجية، ومنها نبذهما للفلسفات القديمة، والمذهب السكولاستيكي، تحديدا إذ كانت رؤية العالم مؤسسة على التراث المسيحي، والتي تسندها السلطة الدينية وعززتها السلطة السياسية في اوربا القائمة على الخطاب الديني، الذي يحرم أي تشكييك بتلك الرؤية، لكن أصاب هذه الرؤية الارتياب والتقويض نتيجة لظهور وتطور العلم على يد نيوتن، الذي اسس لبنية علمية سادت فكر العصر الحديث، فآمن به الباحثون والمفكرون والفلاسفة، باعتباره مصدر اليقين، حيث اعيد ترتيب المفاهيم الانطولوجية من جديد وتغيرت الرؤية للوجود، فبعد أن أزالت المفهوم الروحي عن الوجود، اصبح الموضوع يخضع للذات وليس العكس، لكن السؤال هنا هل أصبح اليقين العلمي وسيلة لتاسيس طابع نقدي للفلسفة ؟ هل استطاعت الفلسفة أن توظف مستجدات العلم، بتجسيد فكر نقدي يستوعب مشكلاتها ويساعد بحلها ؟ نعم جهدت الفلسفة في تاسيس فكر نقدي ساهم بتحول رؤية الفلسفة تجاه نظره اكثر علمية وواقعية، من خلال المناهج، والثورة المنهجية التي تصدرها فرانسس بيكون وديكارت، عندما جعلا من المنهج سبيلا للتخلص من الاوهام والخرافات السابقة عليها، من اجل التحرر نحو الفكر القويم، وهذا تجسد مع بيكون وكتابه(الارغانون الجديد) وهو منهج يؤدي الى تكوين عقل جديد ومنطق جديد، كان اقوى تجسيد لروح العصر الجديد، علم عملي ناقد للعلم النظري القديم(الارغانون الارسطي) الذي لم يعد قادرة على تمكين الإنسان من السيطرة على الطبيعة، فبيكون كفيلسوف كان ناقد ورافض للفكر القديم المتامل للطبيعة، والذي لا يتماشى مع روح عصر اكتشاف الطبيعة، فكان اكثر قدرة على التعبير عن روح عصره الحديث باستقطابه لروح العلم الطبيعي، وان هذه الطبيعة تحتاج الى التجسيد التجريبي، ومن ثم فالتجريبية هنا الغرض منها « ان نرسي درجات متزايدة من اليقين... بل نفتح مسارا جديدا للعقل اكثر وثوقا يبدأ مباشرة من الادراكات الحقيقية الاولى للحواس نفسها»[٦] لا تمثل منهجاً او الية معرفية فقط، بل هي تجسيد للعصر الحديث، فانتقلت اوربا بذلك الى عصر جديد، فاصبح التجريب هو ثورة منهجية بظهور(الارغانون الجديد) وهذه المنهجية تتضمن جانبين : الاول الجانب السلبي الذي يعتبر ان العقل النظري مريض وعاجز ومشحون بالأوهام والاخطاء، وهذه الأوهام هي التي تحول بينه وبين الممارسة العلمية، اذا ترك العقل على سجيته انقاد لاوهام طبيعية فيه ومضى في جدل عقيم، ويطلق عليها بيكون بأصنام العقل الاربعة هي[٧] :

أوهام القبيلة او الجنس : مبنية على الطبيعة البشرية والقبيلة البشرية والجنس البشري. أي أنها الأخطاء المتربصة بالعقل، متعلقة بالعقل البشري الذي يشبه بالمرآة غير المستوية تتلقى الاشعة من الاشياء وتمزج طبيعتها الخاصة بطبيعة الاشياء فتشوهها وتفسدها. ومن أمثلتها، سرعة التعميمات والقفز إلى الأحكام الكلية الخاطئة.

أوهام الكهف:فهي الاوهام الخاصة بالانسان الفـرد، حيث ان لكل فرد كهفه الخاص او غارا خاصاً به، ذلك بتاثير البيئة التي نشا فيها الفرد. فهي إذاً نوعية من الأوهام خاصة بالفرد المعين الـذي نشـأ في بيئـة معينة، فضلاً عـن أخطاء الطبيعـة البشـرية بعامة، يسـود الاعتقاد بانها عامة، ويتشـبث بها الانسان ويبعدها عن النقد، لكل بيئة الاعتقـادات المختلفة فهي في الحقيقة نسـبية، ولكن العقل الذي نشـا ضمـن اطارها يؤمن بأنها مطلقة، ولهذا نجده يخلط بين الخاص والعام والنسبي والمطلق، لهذا يؤكد بيكون على ضرورة تخليص العقل منها.

أوهام السـوق : تنشـأ عن تواصـل الناس واجتمـاع بعضهم ببعض، فهـي المتعلقة باللغة والالفـاظ، فعند تحـادث الناس فيما بينهم تنشـأ مدونـة مـن الكلمات سـيئة بليدة، تعيـق العقل إعاقة عجيبة، وتوقع الناس في مجادلات فارغة ومغالطـات لا حصـر لهـا، لذا سـميت باوهام السوق.

أوهـام المسـرح : هـي التي تسـربت الى عقول البشـر من المعتقدات المتعددة للفلسـفات المختلفـة، والقواعد المغلوطـة للبرهان،.وهذه الفكـرة مهمة حاليا علينـا أن نحدد قيمة الافكار السـابقة ولا نعطيها اكثر من قيمتهـا الحقيقية، وان نتعلـم كيف نجعـل الافكار تتـلاءَم ضمن حدودها الزمانية والمكانية فلكل عصر مشكلاته الخاصة به لهم عقولهم ولنا عقولنا الخاصة بنا، ولا نجعل أفكاراً لماضي تسيطر على الحاضر المعاش.

وهـذه المرحلـة تمثـل الجانب السـلبي من كتابـه الارغانون الجديد، فبعد أن تخلص العقل من الاوهام السـابقة، وتم تهيئة العقل ان يتحول الـى الجانب الايجابي الذي يتمثل في ممارسـة المنهـج التجريبي، ووضـح ان كيفية التجريب تنقسم قسمين[٨] :

١-تفسير الطبيعة ويكون قسمين أيضا :

أ- يتعلـق بكيفية اسـتخلاص المبـادئ من الخبـرة ، وهذا ينقسـم الى ثلاث مهـام "مهمة الحـواس – مهمـة الذاكـرة – مهمـة الذهن او العقـل" فليس علينا تخيل واختراع ما تقوم به الطبيعة او تخضع له، بل ان نكتشفه.

ب- استنباط تجارب جديدة من المبادئ

ج- أن نستعمل استقراءً صحيحا ومشروعا يكون هو المفتاح نفسه للتفسير والاستبعاد.وهذا يتطلب أن نبدأ بخطوات :

قائمة الشواهد: وضع الحالات التي ظهرت بهـا الظاهرة(عـرض الشـواهد امـام الذهن) مثلا صورة الحرارة، صـورة الحديد الضوء-الوزن..الـخ هل بيكـون هنا بيكـون بعيدا عن هدف العلم الحديث ؟ الذي هو وصف وتفسـير ظواهر الطبيعة بينما بيكون اراد اكتشاف صور الطبائع البسـيطة، وان كل ما فـي العالم يمكن ردها الى مجموعة من الطبائع البسـيطةعددها ١٢ الضوء الـوزن الحرارة..الـخ من اجتماع هذه الطبائع وتفرقها يتكون سـائر الموجودات، وهدف العلم الطبيعي هو اكتشاف هذه الطبائع، أي صورهـا فالصـورة ليسـت تجريـداً، بـل راهـا بيكون نلمس فيه شـرطاً ميتافيزيقياً، هذه الفكرة بسـيطة وتحمل بعض شوائب العصور الوسطى، فتصور بيكون بنوع من الطبائع وان يبين صور اوالطبائع هو شرط ميتافيزيقي.

قائمة الغياب : تسجيل الحالات تغيب فيها الظاهرة

قائمة الدرجات او المقارنة : وضع الحالات التي توجد فيها الظاهرة بدرجات متفاوته، لكن تاكيد بيكون على المنهج التجريبي يعني انه يناى عن الاستنباط وهذا ما يفسر تحامله على الرياضيات، لأنها استنباط خالص، وتجريد ينأى بالباحث عن الطبيعة والتجريد، بينما العلم المعاصر يؤكد على أهمية التآزر بين الوقائع الطبيعة والرياضيات، بل وتعد السيق الرياضية من معالمه المميزة.

أيهما أهم في المنهج البيكوني هل الجانب السلبي ام الايجابي ؟

بعض الباحثين يرى أن الاهمية الكبرى هو للجانب السلبي، لأنه يظهر العملية النقدية بحصر الاخطاء وتنقية العقل وتطهيره، وتعد هذه هي الاضافة الحقيقية لبيكون.وبعضهم الآخر وجد الاهمية تكمن في الجانب الايجابي لانه يؤكد على اهمية المنهج التجريبي العلمي. لكن هل يمكننا القول ان المادية في الفلسفة قد بدات مع بيكون والتي عمقها هوبز ثم دفع بها ماركس الى اقصى تطرفاتها؟

فالمهم عند بيكون هو العمل،أي التجربة وليس التأمل، لان فرانسس بيكون يرى ان الانسان فاعل قبل ان يكون مفكرا،هل يكمل ديكارت التوجه نحو الطبيعة وبالمنهج العلمي الذي بدأ مع بيكون؟ هل يقبل بالمنهج التجريبي، ام له منهج آخر؟

٢- المنهج الشكي : يقول لنا(رينية ديكارت ١٥٩٦-١٦٥٠) او كما يسميه هايدكر بمفتتح العصر الحديث الذي كان له الدور الأساس في تاريخ الميتافيزيقا، يتمثل بالنظرة الجديدة للانسان باعتباره ذاتا حرة فاعلة وخالقة لأفعالها،وهو مقر اليقين والحقيقة، وهنا نلمس انطلاق التفلسف الديكارتي من اشكالية انسانية بحته[٩] بعدما كان ينظر إليه باعتباره مخلوقا يتلقى اليقين من قوى مفارقة، لكن السؤال هنا ما هو المبدأ الأساسي لهذه الفلسفة؟ بحسب الكوجيتو الديكارتي "انا افكر اذن انا موجود " ولكن ما أنا؟ أنا موجود يفكر ويشك وينفي، وهذا يكفي ديكارت، لكن الموجود الذي يفكر ويشك هو موجود ناقص متناه، وهو فوق ذلك يعلم أنه ناقص متناه[١٠] وصل ديكارت عن طريق الشك الى امتلاك الحقيقة(الكوجيتو) ومن هذه الحقيقة انطلق ليثبت وجود الله، وجوده كشيء يفكر، ثم ليثبت وجود الاجسام ومن بينها جسمه هو حيث يرى " ان الاشياء التي نتصورها تصورا بالغ الوضوح والتميز صحيحة كلها، لم اتيقن هذا اليقين الا لانه الله كائن او موجود وانه موجود كامل. فالفكر او التفكير المنبثق من ذاته بالإدراك والوعي بالذات هو المبدأ الأساس لهذه الفلسفة، حين اتخذ ديكارت طريق الشك منهجا يقي العقل من الخطأ[١١] بقوله " قررت أن أحرر نفسي من في حياتي من جميع الاراء التي امنت بها قبلا، وان ابتدئ من اسس جديدة"[١٢] هذه الاسس مرتكزة على العقل الذي هو في نظر ديكارت، عقل فردي، يرتبط ارتباطا عضويا بالذات، هذه النظرة المثالية الحدسية احد مبادئ المثالية التي قال بها هيجل فيما بعد[١٣] لكن هل هو شك من اجل الشك؟ شك ديكارت شك منهجي ارادي في كل ما يحتمل شكا في سبيل تحصيل المعرفة اليقينية، من خلال مشروع الشك الديكارتي، فهو يتم مهمة مونتاني ويبلغ بها الغاية، تلك المهمة

الهادمة المحررة، وأعني بها مهاجمة الخرافات والأوهام وما في الفلسفة المدرسية من ظاهر العقل، فإنه يحيل الشك منهجا ويسنده إلى يقين الحقيقة بعد استعادتها، يقول ديكارت " تلقيت.. طائفة من الاراء الخاطئة ظننتها صحيحة ... ولهذا قررت ان احرر نفسي... من جميع الاراء التي امنت بها قبلا وان ابتدي الاشياء من اسس جديدة"[١٤] هكذا هو يجعل من الشك محكا وآلة فعالة للنقد ووسيلة لتمييز الصواب من الخطأ، فديكارت يقتفي أثر مونتاني في الرجوع السقراطي إلى النفس، لكنه يسبقه ويمضي بالتحليل إلى غايته،هو يحارب شك مونتاني الذي لم يوصله إلى الحقيقة بل الى الفراغ الذي انتهى الى قول ان الانسان لا يعرف شيئا لأن الانسان ليس شيئا ويدفع به أيضا إلى غايته باستعادته ليقين الحقيقة العقلية، وان يجد الله او ما يسمى بطريق العقل الى الحقيقة، إذ شك بكل المعارف ما عدا الايمان بالله، لانه يرى ان نقد العقل لا يجب ولا يمكن أن يتناول الحقائق الدينية، لان ماهيتها أسمى من العقل، وهذا ما اكد كانط فيما بعد، كذلك الرياضيات باعتبار هذه الافكار تمتلك من الوضوح والدقة والتميز بعدهما علامة لليقين، وتعذر الشك به شرطا له بقول" كنت اجد خاصة بالرياضات، ليقين براهينها وجلائها"[١٥] فبذلك هو يستلهم دور الرياضيات ليؤسس الفلسفة الحديثة.اما العلوم الاخرى التي تعتمد مبادئها من الفلسفة فلن تنجو من سهام الشك، فالشك محك الحقيقة، لذلك يجب أن نجعله أقوى ما يمكن، وأن نشك في كل شيء ما استطعنا إلى الشك سبيلا، حينئذ فقط نكون على يقين حينما جعل من الشك المحك والقاعدة، للتمييز بين الصواب والخطا، ووضع الأفكار التي ستكون عالم العقل في مواضعها ومزاولة النقد، أي الحكم والاختيار فهو لم يذعن للشك كما كان مونتاني، بل يزاوله بحرية يسيطر عليه ومن ثمة يتحرر منه باعتماد الشك المنهجي في الأفكار، وصولا الى الفكرة التي لا يمكن الشك بوجودها وهي التفكير، ومن ثم خلال الفكر يثبت الوجود والانا. ينطلق ديكارت من وجود الانا كونها الكائن المفكر الاساس لوجود كل شئ، وادراك وجود الله، ومن ثم ادراك وجود العالم، فانا افكر بذاتي اولا، وانا افكر اجد ذاتي ثانيا، وبعدها اجد العالم ثالثا.

وقد ارسى بناء منهجه النقدي الشكي بحسب قوله: "علينا أن نحكم أحكاما ثابتة وصحيحة على جميع الأشياء التي تعرض علينا" من أجل الوصول إلى الحقيقة، فعلى المرء أن يتخلى عن كل الآراء التي تلقاها أو تكونت لديه، وهذه شبيهه بدعوة بيكون بتخليص العقل من الاوهام، بعد ذلك عليه أن يشرع في بناء أنساقه المعرفية انطلاقا من أسس جديدة تعتمد التدرج من البسيط إلى المركب)[١٦] اراد من هذه القاعدة العلمية الوصول الى المعرفة اليقينية، ووضع اطار ميتافيزيقي للنظر في المشاكل القائمة بين العلم والدين، وقد اعتمد ديكارت ببناء منهجه في المقالة في المنهج التي تختصر أسباب الشك والنقد، حتى من البراهين الرياضية وفق أربع قواعد كالاتي:[١٧]

الأولى/ هي(قاعدة البداهة) ألا أقبل أي شيء على أنه حقيقة إلا إذا تبين لي أنه كذلك بيقين: على أن أتجنب الاندفاع واستباق الحكم وألا أدرج في أحكامي إلا ما يتجلى لعقلي بوضوح بحيث لا تسنح لي أية فرصة لوضعه موضع الشك. وهذه القاعدة تُعبر عن ضرورة تطهير العقل بالشك.

الثانية /هي(قاعدة التحليل) أن أقوم بتقسيم كل واحدة من الصعوبات التي أفحصها إلى الأجزاء التي يمكن أن تقسم إليها والتي أحتاج إليها من أجل حلها على أحسن وجه. يعني «قسمة» كل علاقة أو نسبة مركبة إلى ما يستطاع من العلاقات أو النسب البسيطة.

والثالثة /هي(قاعدة التركيب) أن أسوق أفكاري وفقا لترتيب محكم، وذلك بالابتداء بالأمور الأكثر بساطة، وسهولة في المعرفة لأصعد منها شيئا فشيئا ودرجة فدرجة حتى أبلغ معرفة الأمور الأكثر تركيبا، مفترضا وجود ترتيب حتى بين تلك التي لا يسبق بعضها بعضا بالطبع.

الرابعة /هي(قاعدة الاستقراء والاحصاء) أن أقوم بإحصاءات تامة ومراجعات عامة على نحو أتأكد معه أنني لم أغفل شيئاً.

يصل الشك إلى ذروته في كتاب التأملات الميتافيزيقة إذ يتعرّض للظواهر الحسيّة وينتقل منها إلى تلك الاشياء الأكثر بساطة وشمولاً أي ما تتكون منه تلك الظواهر كطبيعة الجسم والمقدار بوجه عام، كذلك الأشكال وعظمها. وهذا التمييز بين الكيفيات والأشكال المختلفة التي تتلبسها الكمية، يحضر للمذهب الآلي. السؤال هنا هل الانسان كائن ناظر في كينونة الاشياء؟ ام انه الكائن ينكشف بادئ الامر في كينونته الاصلية ؟ هل يقول ديكارت بوجود فاصل بين كينونة الكائن والعالم ؟

وهكذا تعد الفلسفة الديكارتية فلسفة تأسيسية في بنائها المعرفة على الذات والحقيقة على اليقين والبداهة وبحسب تعبير هيدكر فهي فلسفة للوعي او للذاتية بعيدا عن الاعتقادات الميتافيزيقية التي كانت سائدة وبهذا تكون الذات بوصفها الانا المفكرة، لها القدرة على التعامل مع المعطيات باعتبارها موضوعات قابلة للمعرفة، وهنا برزت العلاقة الثنائية بين الذات المفكرة والموضوع(الشيء المفكر والشيء الممتد) التي تتجاوز الفكر التقليدي بتحول الاهتمام نحو العقل والمعقولية من خلال قراءته للعلاقة بين الأنا والفكر والوجود بالنقد الشكي المنهجي تمكن ديكارت من سبر أغوار الشك ليخرج منه بيقين علمي وثبوت منهجي، لأنه يعيد النظر في التجارب والأفكار العقلية باعتبار العقل هو الشيء الاكثر مساواة في التوزيع بين البشر، لكن هل يكفي الانسان ان يمتلك العقل ؟ جميع البشر يمتلكون عقولا، لكن الاهم لدى ديكارت هو كيفية استعماله عبر منهجية علمية وذلك للوصول إلى نتائج أكثر تماسكاً. أصبح العقل هو الإله الجديد، فأصبح الاتجاه نحو العقل الإنساني بدلا من العقل الالهي، وأن هذا العالم ما هو إلا معطى متمثل أمامه عليه إدراكه عقليا، فالعالم هو ما تدركه الذات وكما يظهر في الوعي، لكن القيمة الموضوعية للعقل مع ديكارت،قد تراجعت واتخذت معنى ذاتي اضيق فالكوجيتو الديكارتي ينطوي على تأكيد الكينونة بفعل العودة إلى الذات، و الإعلاء من شأن « الأنا «، وهذه الذاتية سنجدها تتكرس مع كانط وهيجل بعدما كانت ترسوا في العالم المفارق . بينما يرى هيدكر ان " التحليل الوجودي للكائن هو للحفاظ على وضوح جوهري يتعلق بوظيفته الانطولوجية بالبحث عما يكمن في كينونة الكائن عوضا عن كونها فرضا مبدئيا وهذا ما يحدد كينونة الكائن"[١٨] هذه الصورة الاولى من التحولات النقدية عند ديكارت النقدية الشكية المنهجية للوصول الى

الحقيقة، لكن هـل العلم المعاصر اتفق مع العلم الديكارتـي المرتكـز على دعائم فلسـفية قوية، المبني على استدلالات عقلية يسودها الوضوح والتمييـز ؟ ام انـه حكم على معظم اكتشـافاته بالخطا، باسـتثناء بعض جوانـب الرياضيات، وقانون عطالة فـي الفيزياء،وقوانين الانعكاس في مجال البصريات ؟ فهل العلم المعاصر كان منصفا لديكارت ونظر لفلسفته وعلمه من حيث هـو عمل تاريخـي، يتحدد بالضـرورة بحدود عصره،وهـو بالضرورة معـرض للخطا كما يقول باشـلار(في كتابة العقلانية التطبيقية، انه ليس ثمة عقل ثابت، اي ان العقل يتحول بتحول العلـم من القديم الى الجديـد، بمعنى ان الافكار العلمية التي تنتج عقلاً علمياً معيناً، سـرعان ما تتغير بولادة افكار علمية جديدة.[١٩]

٣-النقد المنهجي العقلاني

اسـتطاع كانـط(١٧٢٤-١٨٠٤) ان يؤطر الاسـئلة الفلسفية حين جعل النقد قاعدة جوهرية لنقـد العقل بالعقل بقولة : يتعين على كل شـيء ان يخضع لمحك النقد، حين قدم ديكارت سؤاله مـن أنا ؟ قدم كانط ما الذي يمكن أن أعرفه؟ ما الـذي ينبغـي أن أفعله في هذه الحيـاة؟ ما الذي هو مسـموح لـي أن آمله وأرجـوه؟ واخيرا ما هو الإنسان؟ هذه هي الأسـئلة الأربعة الكبرى التـي وجهـت كل أعماله الفلسـفية. والسـؤال الأول أجـاب عنه مـن خلال كتبـه النقدية: نقد العقل الخالص. والسؤال الثاني من خلال كتابه نقـد العقل العملي والثالث من خلال كتابه الدين في حدود العقل اما سـؤاله الرابع فقد اجاب عنه ضمـن كتابـه الانثروبولوجيا مـن وجهة نظر براغماتية.

فبعـد أن «أجهز بركلي(١٦٨٥-١٧٥٣) على المـادة والعلية الطبيعية واسـتقلالية العالم عن العقل ومحاها مـن صفة الوجود بقوله ان « الوجود هو اما مدرك او مدرك». اي ان الوجود ادراك. امـا ان يكون افكارا عـن العالم الخارجي وهـي معطاة بواسـطة العقـل الالهي. وليس هنـاك وجـود غير ذلـك. في ظل هـذه الاجواء اسس هيوم(١٧١١-١٧٧٦) مذهبا تجريبيا مبنيا على اصول بيركلي. ولكن بتحويلها من الوجهة الفكرية اللاهوتية الـى الوجهة الظواهرية. أي المعتمدة على الظواهر الطبيعية. وبعد ان هدم الحقيقة العلمية بحل فكرة السـببية.حينما شـكك في قيمـة ونتائج المنهج الاسـتقرائي فبذلـك انهـار العقل كمـا انهارت المـادة ولم يبـق منهمـا شـيء. أدى اجتهـاد كانـط إلـى نظريته السامية أو المتعالية والتي يدعي فيها أن المعرفة تفوق عالم الأفكار (كما يدعي بيركلي)، بأننا على الأقل نعرف إمكانية وجود أشـياء في ذاتها ما يسميه كانط النومين، والتي هي حقيقية تجريبيا وبشكل سـام، حتى إن لم تكن معرفتها مباشرة. فالظواهر التي نحسّها ونعتقد بمعرفتها هي مجرد ما تظهر لنا عليه،وليست بالضرورة حقيقية.وبعد أن أيقضه هيوم من سـباته بحسب قوله لان هيوم انكر ذلك

رسـم كانـط صـورة النقد لديـه من خلال إقدامـه بالنقد الجذري لمبـادئ ومعتقدات العقل الميتافيزيقيـة السـائدة في الحضـارة الغربية، والتي تعتقـد ان العالم قابل للمعرفة، وان العقل الانساني يمكنه النفاذ الى ماهية الاشياء، باعتبار ان كل ما فيه قائم على مبدا العلية والزمان بعدهم قوانين مطلقة توصلنا للحقيقة، لذلك اثبت كانط ان محاولة معرفة الشـيء فـي ذاته "النومين" او المعقـول عن طريق العلية ماهو الا وهم من أوهام العقل النظري،وان هذه القوانين تسـاعد

على رفع الظاهر الى مستوى حقائق الاشياء، وليس لمعرفة الاشياء بذاتها، لان مبدا العلية لا يسر الا على الاشياء الحسية للقابلة للتجربة، لذلك لايمكننا ان ندرك عالماً غير محسوس يسمو فوق عالم الحس والتجربة، وعلى هذا الاساس يمكن ان نعد الروح والمادة ظاهرتين وليستا جوهرين، ومن ثم يعد مبدا العلية قانونا للمعرفة وليس للوجود، وهو من صنع عقولنا، لذا فهو لا يحمل الحواس مسؤولية الخطا، وانما الذهن لان العمليات الذهنية هي احكام، وبالتالي فالتفكير النقدي هو حكم، ومن هنا نقد المعرفة الفلسفية السابقة التي تعتقد بان العالم قابل للمعرفة، وانه يمكننا معرفة اسرار هذا الكون، باعتبار ان كل ما فيه قائم على مبدا السببية او العلية الذي لا وجود له في الواقع الحسي، وانما مكانه في العقل النظري، ولكن عندما يصر كانط أنه لا يمكننا معرفة إلا الوجود كما يظهر لنا، وليس كما هو في ذاته، أي كوجود محض، باعتبار ان العقل لا يمكنه ان يستدل على ما يفوق ادراكه،ومن ثم نحن مضطرون لحكم العقل وقبول حدود الادراك،لانهما كل ما نملك. نجد ان فلاسفة عصر كانط لم يؤيدوا حجته في وجود وجود النومين امثال فخته(١٧٦٢-١٨١٤)[٢٠] إذ أنكر وجود حقيقة للأشياء «في ذاتها»، أو حقيقة ما فوق المعقول الحقيقة التي تكون بعيدة عن مقدرات العقل الإنساني. ويرى فيشته الفصل الصارم والمنضبط بين «الأشياء في ذاتها» والأشياء «كما تظهر لنا». وباللغة اللاتينية تسمى هذه الاضداد النومين والفينومين، فالانسان بحسب فخته يدرك بعقله العملي وجود ذاته الحرة المريدة وهذا الادراك الحق بعالمه الداخلي،هو الذي ينشئ الاشياء الخارجية عنه والذات تدرك نفسها لانها تحتاج الى ادراك ما يضادها، أي الى شيء لا يكون ذاتها وهذا الشيء هو الطبيعة، وبالمقابل قدم شلنج(١٧٧٥-١٨٥٤) سؤاله في كتابه الفلسفة الاولى «باي حق تعتبر الذات انها الشيء المطلق الوحيد، فالمطلق هو الذي يتجلى بحركة مزدوجة من الانتاج في الطبيعة والعقل، ولكنه ليس هو العقل ولا هو الطبيعة ولا الذات ولا غير الذات، فهو المصدر الغامض الذي تصدر عنه جميع الاشياء ولا ينضب، لكن السؤال هنا لماذا شكك كانط وانتقد هذه المبادئ وهل ان العقل المحض عاجز على البرهان؟ هل ان النهضة العلمية كان لها الاثر بذلك؟ من المؤكد ان للنهضة العلمية الاثر البالغ لذا سعى كانط الى بناء ميتافيزيقا قائمة على اسس علمية تبحث في حدود العقل الكامنة فيه، وهذا ما جعل هوسرل يدعوا الى ان تكون الفلسفة علما دقيقا، وكان متفقا مع كانط في بناء فلسفة ترنسندنتالية. لكن هل العقل العملي عقل ناقد؟ وما الجديد الذي اضافة كانط في مجال الاخلاق؟ يتبن ان العقل العملي عند كانط بالحقيقة هو عقل غير ناقد،بل هو عقل يسعى الى استرجاع المطلقات التي رفضها العقل المحض، اراد كانط من خلاله ان يثبت ان موضوعات(الله- الحرية- الخلود) التي لا يمكن اثباتها بالعقل النظري، لان هذا العقل له حدود لا يستطيع مجاوزتها بغير ان «يقدم بنفسه في الظلام والمتناقضات»[٢١] كونه لا يستطيع الحكم الا على ظواهر الاشياء، السؤال هنا هل معرفتنا بها مستحيلة ؟ بحسب كانط مستحيلة على العقل الانساني لأنه لم يخلق لادراكها، كما لم تخلق العين لسماع الاصوات، بينما اصحاب الوضعية المنطقية يعتبرون هذه الموضوعات من الاستحالة المنطقية اثباتها، لان عبارتها ليست من الكلام المفهوم، وانما هي

عبارات خالية من المعنى. ويرى هايدكر ان من الضروري تاويل العقل الخالص باعتباره كتابا يهدف في عمقه الى اقامة اساس الميتافيزيقا، إذ يظهر مشكلة الميتافيزيقا بوصفها مشكلة خاصة بالانطوجيا الاساسية وتتطور من خلال تفسير نقد العقل الخالص، باعتباره اقامة لاساس الميتافيزيقا[٢٢] عاد في كتابه نقد العقل العملي ليقرر وجود الله بوصفه مسلمة أخلاقية ضرورية وفق احكامنا الاخلاقية. فما هي المبادئ الاولية التي تبرر احكامنا الاخلاقية او المبدا العقلي الذي يصدر عنه الزامنا باداء الواجب لذاته ؟ وما الذي يوجب ان نلتزم بفعل ما نقول؟ وما الذي اوجب الواجب ؟ قدم كانط رؤية فلسفية للأخلاق تدعو إلى تأدية الواجب بوصفه غاية في ذاته، وذكر أن الدافع الأعلى للعمل الخلقي هو الواجب من أجل الواجب، لا الواجب الذي يسفر عن مكافأة أو ثناء، وإلا انحطت الأخلاق عن رتبتها، وهذا يؤدي إلى أن الأخلاقَ شأن قائم في ذاته، وهو لا يفعل ذلك كفرد، بل من حيث هو يمثل الانسانية جميعا، فهو المشرع لنفسه وللانسانية قاطبة المتمثلة فيه، وبهذا يتحول الامر المطلق الى الزام مطلق، ضروري وشامل،يقوم على الحرية ويشترط في نفس الوقت المسؤولية،لان الفعل الاخلاقي يلزم الفرد ازاء الانسانية، لكن كانط لا يقف عند هذا الحد، إذ يبحث عن المسوغ الأعلى للواجب، فيتساءل عن جواز أن يضحي المرء بكل شيء من أجل الواجب؟ ووصل إلى قناعة بوجود مسوغ لهذه التضحيات،ويقدم في الوقت نفسه معنى للحياة، ووجد هذا المسوغ في مفهوم(الخير الأقصى)، لكن هذا الأخير لا يمكن تحقيقه " الا بافتراض ثلاثة مفاهيم نظرية... اعني الحرية، الخلود والله "[٢٣] يؤدي القانون الأخلاقي عند كانط إلى الدين، وذلك بفضل فكرة الخير الأسمى،بوصفه غاية العقل المحض العملي، أي يؤدي إلى الإقرار بأن كل الواجبات أوامر إلهية، لا كجزاءات، أي أوامر اعتباطية عرضية صادرة عن إرادة خارجية، بل كقوانين جوهرية لكل إرادة حرة في ذاتها، ولو أنها يجب أن تعتبر أوامر لكائن أعلى، لأننا لا نستطيع أن نأمل في الخير الأسمى -الذي يجعله القانون الأخلاقي واحداً علينا كغاية لجهودنا إلا من إرادة كاملة(مقدسة وخيرة) أخلاقيا، وفي نفس الوقت قادرة قدرة مطلقة، وتبعا لذلك لا يمكننا أن نأمل في بلوغ ذلك إلا باتفاق مع هذه الإرادة. فمفهوم الدين عند كانط يرتبط بالأخلاق، وذلك أن الأخلاق في نظره تقود حتما إلى الدين، فالانسان حين يؤدي الفعل الاخلاقي هو يؤدي الواجب لذاته، فبحسب فلسفة كانط النقدية للاخلاق وحسب معيار مبدا الكلية والارادة العامة التي يمكن للانسان ان يحيا تحت ظلها حرا شرط ان لا تكون الحرية الفردية اعاقة لحرية الاخرين،وهنا تظهر اهمية العقد الاصلي عند كانط في نقد الواقع السياسي والتاريخي، باعتبار ان فكرة الارادة العامة تحفز على تقدم العالم وان هذا السلوك التاريخي لهذه الفكرة،ادى الى خلق الانوار، وبحسب رؤية فوكو فان كانط هنا جمع بين الفكر النقدي والفكر التاريخي. يتبين مما سبق انه من غير الممكن الفصل بين الاسئلة الفلسفية التي طرحها كانط والسؤال الاخير ما الانسان؟ الانتقال من الطبيعة الى الحرية فكانط يركز : أولا على كل ما يمنع الانسان من التحرر وانتزاع ذاته من الطبيعة كالامراض العقلية والنفسية والانفعالات والاهواء وثانيا التقدم الثقافي التي تمكن الانسان الى الارتقاء

الى مستوى الحرية عن طريق تحديد غايات حرة لذاته انطلاقا من ذاته، اي التركيز على خصائص النوع الانساني ونزوعه الى التثقيف وتجاوز المعوقات التي تعيق صفة الانسانية، فيقول بوحدة الانسانية في الاصل ويدعوا الى تجاوز للنزعات العرقية او العنصرية كلها، وهذا ما اثار اهتمام حنة ارندت الخاص بالاغلبية فهو اهتمام بتميز الانسان الفرد بانه خاصية حاسمة ومحددة للحالة الانسانية، لا في الاختلافات بين الثقافات، وبهذا تبقى مضامين الاغلبية والتعددية واختلاف البشر تفرض تحديا نقديا للنظرية النقدية فيما بعد خصوصا عند هابرماس بتركيزه على العالمية والتواصل والذي اخضع كل الاجتهادات الفلسفية بخصوص الحداثة للسؤال والنقد وهذا ما سنتناوله فيما بعد.

٤- النقد الديالكتيكي المثالي

شيد هيجل جزءا مهماً من مشروعه الجدلي الكبير في فنومينولوجيا الروح الذي يعد بمثابة المدخل إلى مذهبه الفلسفي[٢٤] فهو يتجلى في قوله بهوية الانطولوجيا والمنطق ونظرية المعرفة، تقبل هيجل في البداية الفرضية الكانطية التي تقول إن العالم يظهر لنا كما هو عليه لان العقل ينظمه بطريقة معينة، لكن بعد مدة وجد ضرورة في معارضة هذه الفكرة الكانطية بسبب نقطتين، بالنسبة لكانط هناك دائما تمايز بين الواقع كما يبدو لنا والواقع كما هو موجود في الحقيقة، الأشياء كما نراها والأشياء كما هي موجودة، فهذه المقابلات لا تنم عن جوهر الجدل، وتقلص مفهوم النفي. لهذا اشار هيجل في كتابه علم المنطق أنه لا يصح القول بان الوجود والعدم قد وجدا أولا، ثم لم تلبث أن وجدت الصيرورة، بل إن الصيرورة هي الحقيقة العينية الكلية الأولى التي ينبثق منها الوجود والعدم، كحقيقتين مجردتين متناقضتين ناقصتين، وليست الصيرورة هنا سوى عملية التناقض مع ما يقترن بها من سلب، الوجود في نظر المنطق الجدلي مسار من خلال المتناقضات يحدد تطور كل واقع هذا التوحيد بين الذاتي والموضوعي أو هوية الفكر مع الواقع[٢٥] حاول به هيجل حل ميراث كانط من الثنائيات المنطقية كالمادة والصورة، يحدد التقسيم عبر الأزواج المتعارضة، الروح والمادة، النفس الجسد، الإيمان الفهم، الحرية الحتمية، الوجود واللاوجود، التصور والوجود، تناهي اللاتناهي، هذه التعارضات تتمظهر في تجليات تاريخية متناهية عبر تطور الحضارة، فهي مرت عبر شكل التعارض بين العقل والحساسية، التفكير والطبيعة، بمعنى آخر كل هذا متعلق بالمفهوم الكلي المتشكل على الذاتية المطلقة والموضوعية المطلقة. إن المنطق الجدلي يرفض شكلية وصورية المنطق الأرسطي، وينتقد في نفس الوقت انغماس التجريبية في الواقع وتقبلها إياه، كما هو معطى، فالحقائق القائمة الآن، لا تمثل إلا لحظة من تجربة الإنسان التاريخية، فلا يجوز الانخداع لزيف سكونيتها، أي ما هو كائن ليس هو الحقيقة النهائية، وهنا تظهر فكرة السلب التي هي المحور الأساسي داخل الديالكتيك، بل هي قلبه النابض، وتدل هذه عنده إلى حركة تتسم أساسا بأنها الرفض والتجاوز لما هو قائم بالفعل والسعي إلى تركيب أفضل، من هنا جاء تعاطفه مع الثورة الفرنسية، لان قيمتها تتمثل بكونها فعلا سلبيا ذا مضامين نقدية، وعليه نلاحظ ان العقل عند هيجل هو العقل الجدلي

لاشكال الوعي في التاريخ، استطاع هيجل ان يشيد نسقه المنهجي الديالكتيكي القائم على التناقض والتغير المستمر والمرتكز على مبدا السلب كلحظة جوهرية في كل المجالات بما فيها عملية المعرفة باعتبارها نشاطا ابداعيا التي تشمل حركية الواقع وتطور التاريخ[٢٦] فما هي مهمة التاريخ الاساسية عند هيكل ؟ هي البحث في العقل الذي يمكن ان يحكم هذا العالم من خلال شكل الوعي في التاريخ فاول مراحل تطور الوعي يبدا حينما تنصهر الذات في الجماعة، هنا يبدا الصراع والتضاد والتناقض بين الذات وموضوعها وهذه المرحلة الثانية وبعد صراع وتناقض يحدث التمازج بين الذات والموضوع. وبهذا فان ما تنطوي عليه الاشياء يستند بالاساس الى مبدا السلب الذي يتوقف عند بلوغ الفكرة المطلقة[٢٧] وهكذا فإن فلسفة هيجل اتخذت صورة الديالكتيك النقدي المثالي.والتي سينتقدها ماركس فيما بعد.

٥-نقد الجدل المادي(كارل ماركس ١٨١٨-١٨٨٣)

انطلق الفكر الماركسي من رؤية جديدة للواقع والعالم،كما للتاريخ والمستقبل من خلال الجدل المادي، حيث قلب ماركس جدل هيجل بتحويلة من جدل الفكر الى جدل الواقع وبضمنه الفكر، فالفكر هو انعكاس للواقع، الانعكاس الذي ينتجه الذهن، وهو يحاول وعي الواقع المادي والتاثير فيه، فالفكر هو نتاج الواقع وليس صانعه[٢٨]. يقول ماركس ان اسلوبي الديالكتيكي لا يختلف عن الديالكتيك الهيجلي وحسب، بل هو نقيضه، الجدل الماركسي يرتبط بوعي الواقع، فكيف نميز بين الوعي والفكر؟ ان الوعي فكر لكن في شكله الاولي الحسي والفكر وعي، لكن في شكله العقلي، والوعي الحسي سابق للفكر نشوئيا،لكن نشوء الفكر ارتبط بتطور المجتمع[٢٩] وكان مشروع ماركس يقوم على اساس وعي المجتمع بكل مستوياته الاقتصادية والاجتماعية، الفكرية والسياسية، ووعي تاريخيته كمقدمة ضرورية لتغيره، فليس وعي الناس كما قال هيجل هو الذي يحدد وجودهم، بل على العكس، فان وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم هذه المادية الجدلية نابعة من تحديده لدور المستوى الاقتصادي في علاقته مع مجمل المستويات، وهنا ينتهي الطابع الفلسفي للمادية التي بدات مع ابيقور[٣٠] وفيورباخ[٣١] الذي دعا لليبرالية والمادية، فكان فكره مؤثراً في تطور المادية التاريخية، مما ساعد في تشكيل الماركسية. لكن هل ماركس تقبل فلسفة فيورباخ كما هي؟ اخضع ماركس اغلب أطروحات فيورباخ الفلسفية للنقد باعتبارها فلسفة نظرية تاملية، فاضاف اليها ماركس بعدا عمليا قائم على اساس نقد الواقع، وخلافا لفيورباخ، فهو يرى أن دور الفلسفة ليس تفسير هذا العالم فحسب، بل تحويله أيضا، فالنظرية تكتمل بالممارسة، ونقد الواقع والعالم المحيط ونفيها يكتملان بالعمل الايجابي والنشاط العملي. على هذا النحو أدخل ماركس على الفلسفة المادية المبدأ الثوري، وبهذا حوّل فلسفة فيورباخ التأملية إلى فلسفة للممارسة والنشاط . وايضا أخذ ماركس وإنجلز نقد فيورباخ للدين وطوراه نحو نقد أكثر جذرية، وجعلاه يتخطى من نقد الدين إلى نقد الاقتصاد والظروف الاجتماعية والسياسية، بل نقد كل سلطة تستغل الإنسان وترى في نفسها الحقيقة، فانتقدا نظرة فيورباخ للدين القائمة على تفسير ماهية الدين بماهية الإنسان[٣٢]،

بينمـا ماركـس يرفـض الاسـس الميتافيزيقية للديـن معتبرا ايـاه ظاهرة متاسسـة اجتماعيا، حين الانسـان يصنع الديـن، فالدين وعي ذاتي للانسـان، وكل تحولات الإنسان بالذات، ليست نتيجة فعل الطبيعة فيه فحسب، وإنما أيضا وإلى حد بعيد نتيجة فعله هـو في الطبيعة، وبتحويله إياها يحول شـروط وجوده، ويحول ذاته بذاته في ذات الوقت، باعتبار ان جنسنا هو نتاج فترة طويلـة من التطـور وفق قوانين تطـور المادة العضوية(الحيـاة) مـن المواد غيـر العضوية، وهـذا بتاثيـر دارون الـذي يـرى ان الانـواع ليسـت ثابتـة، وانها تمتلـك ماضيـا وحاضرا ومسـتقبلا، متغيرة ومتطورة. وبنفس الطريقة ربطـت الماركسـية بيـن المجتمـع والطبيعة، فهنـاك عمليات مماثلة في صعود وهبوط النظم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة. التشـابه بين المجتمـع والطبيعـة بالطبع تقريبـي فقط. لكن حتى أكثـر الفحوص سـطحية للتاريـخ يظهر أن التفسـير التدريجي لا أسـاس لـه. فالمجتمع مثل الطبيعـة، يعرف فترات طويلة من التغيير البطـيء والتدريجـي[٣٣] ولكـن هنـاك قفزات أيضـا تقطع الخـط كالتطـورات المتفجرة مثل الحروب، فالنظرة المادية التاريخية إلى التطور باعتبـاره حركة من الأسـفل إلـى الأعلى، من البسـيط إلى المركب كعملية ثورية تتم بقفزات، حيث تتم هذه الحركة ليس في دائرة مغلقة،وإنما على شـكل حلزون كل حلقـة فيه أعمق وأغنى متختلـف عن سـابقاتها، فما الـذي يحدد مجمل تاريخ البشـرية وفق النظره الماركسـية ؟ وفق المنظور السوسيو الاقتصادي للمادية التاريخية فـان الـذي يحـدد تاريخ البشـرية هـو التنمية الاقتصاديـة للمجتمع لأن « الانتاج الاقتصادي وتركيـب المجتمع في كل عصر تاريخي ينشـا عنـه بالضرورة الاسـاس التاريخـي والفكري لذلك العصر، لكن هل ذلك يعني ان الماركسـية اختزلـت الواقع الى عنصـر واحد(الاقتصاد)؟ او مـاذا نعني بان الماديـة التاريخية نظرية في التاريخ الاجتماعي؟ ارتكزت الماركسـية على المسـتوى الاقتصادي باعتبـاره المحدد المادي لكليـة البنية، بالبحث في البنى الفوقية(الوعي-الفلسـفة- الفن-الدين-الدولـة) والـى تحديـد دورها في مجمـل الصيرورة، وعلاقتها بالبنية التحتية(قوى الانتاج وعلاقات الانتاج) وبالتالي علاقـة الوعـي بالطبقـة، ودور السياسـة فـي التحويل، الدولـة من حيث طبيعتها ودورها[٣٤] لكننا نلمس اهتمامات تطال المستويات الاخرى كالجانب السياسي والاجتماعي والفني وغيرها.

وقـد أدخلـت الماركسـية فـي العلـم والعلوم الاجتماعيـة والتاريخية فكرة مهمـة للغاية. هـي أن الظروف الاقتصاديـة ذات أهمية كبيرة في حياة المجتمعات.

النقد القيمي

ظهـر نيتشـه(١٨٤٤-١٩٠٠) في عصر تسـود فيه المذاهب الكلية التي تتجاهل الفردية والذاتية وتؤله المطلق، فلم يتوقف النقد النتشوي عند زعزعة القيم وخلخلة أسسها، بل تجاوزها الى كل بديهيات العقلانية الغربية، لذا وجه نيتشه نقدا صارما لمشـروع الحداثة الغربية مستهدفا في مطرقته النقدية أسس اليقين المعرفي وقيمه الكبـري المتمثلة في النقـد الكانطي، الذي عده نيتشـه بالنقـد غيـر الحقيقي، بل هـو نوع من المكر والسفسـطة اراد منه الوصول الى حقيقة متعالية، إذ يرى أن مسـعى كانط النقدي لم يكن من اجل إرساء دعائم العلم، بل من اجل العقيدة والاخـلاق. كذلـك كشـف عن قصور وفشـل

الديالكتيك العقلي لهيجل وماركس ، وبان فلسفة التاريخ، سواء في صورتها المثالية الهيجلية، أو في صورتها المادية الماركسية، قد سجنت العقل في التاريخ وجعلت التاريخ رهينة للعقل[٣٥] اذن فالمطلوب اليوم هو تحرير التاريخ من العقل والعقل من التاريخ، وتحرير الماضي من المستقبل والمستقبل من الماضي من خلال النقد الجيولوجي، لماذا النقد الجيولوجي؟ ولم يتجاوز او يتخطى هذا التراث الفكري؟ هل الغرض هو معرفة الاصل الذي صدرت منه؟ حاول نيتشه ان يتجاوز هذا المعنى الى ما هو اعمق من ذلك، فانكب على التراث يراجعه مراجعة تاريخية جذرية، هادماً لكل سابقيه بتخطي مفهوم الحقيقة المطلقة عن طريق هدم نقطة الارتكاز التي يرتكز عليها هذا المفهوم من خلال وضع قيمة القيم موضع تساؤل، وقدم مشكلة الحقيقة بالسؤال عن طبيعة الحقيقة ؟ بتخطى الثابت والمطلق والعودة للاصل، فأنزل الحقيقة الى الواقع الذي يعده منبع كل شيء، بل اعتبر ان الحقيقة هي مجرد اجراء للحفاظ على الحياة، وان القول بالحقيقة المطلقة وهم، وبانها الميتافيزيقا ذاتها، التي تظهر من جديد لتوهمنا بان اهم ما في الاشياء واكثرها قيمة يكمن في بدايتها واصولها «فالذي كان يدعو الى قبول حقيقة عالم اخر بشكل مطلق... لا رغبة ولا حاجة، بل كان خطا في تفسير بعض الظواهر الطبيعية..حيرة الفكر[٣٦] وبهذا وضعت النيتشاويه من خلال النقد الجينيالوجي قلب المفاهيم التقليدية عن الوجود والإنسان قلبا جذريا في قلب رؤيتها التجديدية للفلسفة،التي بدأت مرحلة الانحطاط المضادة للحياة بحسب رؤية نيتشه مع سقراط وأفلاطون،الذين هيا الأرضية للديانة المسيحية التي تعد اللاله كمثال أعلى يحكم العالم انطلاقا من المثل الأعلى للخليقة، ينتقد نيتشه هذا النموذج الأخلاقي الذي جعل من دوافع الخوف والأمل وتتبع وصايا الكهنة[٣٧] في نقده للتعاليم المسيحية بانها طريق لتعطيل العقل فما اعتقده هولاء من عقلانية لا يغدوا في نظر نيتشة سوى لا عقلانية، استمدت قيمتها من تواؤمها وتطلعات فلسفات مغروسة بانفاس المسيحية والأفلاطونية فهو فكر أصل الحياة[٣٨] لاننا عندما نتحدث عن القيم.. ان الحياة هي التي تحملنا على وضع القيم بعد ان انتقد الاخلاق الشمولية السائدة التي تمثل اخلاق الضعف والعجز، كونه يعدها اخلاق غير فردية وغير انسانية، والتي جسدتها تشاؤمية شوبنهاور ورفعتها فوق الذاتية والفردية، ونحن نعرف بان نيتشة منح « القيمة الفردية معنى جديدا، اذ ادت فلسفته الى تطور نظرية القيم وازدهارها وهذه النزعة الاعقلانية لخصها نيتشه بعبارته المشهورة(لقد مات الاله) وما تحمله من تضمينات معرفية لا تشمل الاله فقط، بل وتشمل الانسان والكون، هو العالم المتسامي، فالاله هو اسم عالم الافكار والمثاليات والمطلقات والثوابت والقيم الاخلاقية، وبحسب رؤية هيدكر لعبارة نيتشة هذه[٣٩] فموت الاله يعني عند نيتشه هو انكار لوجود اي شيء ثابت مرجعي لذا دعا الى تطهير وتحرير الانسان من اي اوهام متبقية عن الثبات والتجاوز والكلية والمطلق حتى يتم القضاء تماما لا على اليقين المعرفي والاساس الديني للاخلاق وحسب، وانما القضاء على اي يقين معرفي[٤٠] واخلاقي،إذ تناول مشكلة الاخلاق باعتبارها مشكلة الحقيقة ذاتها والقضاء على اي مركزية سواء كانت الها ام انسانا،من خلال البحث النقدي الجينالوجي عن مصدر الاخلاق والقيم

الانسانية في الفكر الفلسفي والمسيحي بسؤال فلسفي عميق باقتحام ماهو مقدس والمسكوت عنه، ويرى ان سبب فساد الطبيعة البشرية هي الميتافيزيقا التي جردت الانسان قيمته ومعنى حياته، فالنقد النيتشوي اساسه نقد العقل الخلقي في الفكر الفلسفي والوقوف على زيف القيم الاخلاقية السابقة المضادة للحياة، وان الاخلاق عند نيتشة هي ارادة الحقيقة، وابراز قيم الحياة المرتبطة بارادة القوة[٤١] وقسم الاخلاق الى قسمين اخلاق العبيد التي تمتاز الضعف والزهد والاستسلام والمسامحة والطيبة ويتساءل نيتشه عن مفهوم «الطيّب» عند العبيد، ويبن كيفية تحريف المعاني فالذي لا يلجأ للاقتصاص بسبب العجز يتحول بفعل الكذب إلى الصالح والطيب والخسة والجبانة إلى تواضع وطاعه،فصبرهم نتيجة ضعفهم ومسالمتهم،وهذه الاخلاق تبنى على الوعود الميتافيزيقية،لذلك وجد ان مهمة الفلاسفة هي ايجاد قيم جديدة ومصدر هذه القيم هي الحياة المادية،اما اخلاق السادة فهي تمتاز بالنبل والقوة والسلطة التي يتميز بها النبلاء الارستقراطيين، وهذه الاخلاق هي السبيل للوصول الى الانسان الاعلى والمجتمع الاسمى وفق رؤيته للعالم باعتباره شبكة علاقات متغيرة وبالتالي قبول فكرة العدمية[٤٢] فقد أدرك نيتشه تناقص دور الدين في المجتمع الغربي، وأدرك الحاجة إلى نظام قيم أخلاقية غير مسيحية، يمكن من خلالها أن تعيش البشرية حياة مجدية وتتقبل دراما الوجود. فجعل من إرادة القوة المحور أساسي البديل للدور الديني وعدها الحافز لجميع أشكال الاستنتاج المنطقي والسلوك الإنساني.هكذا كانت الصورة النقدية للقيمة النيتشوية التي تعد من اهم مرجعيات الفكر الفلسفي الغربي المعاصر.

الخاتمة

سعت هذه الدراسة إلى البحث التاريخي لتحولات الفكر الفلسفي النقدي الذي تأسيسه على خيارات منهجية إجرائية ساعدت في فهم دلالات الوعي بشروط الاتصال والانفصال بين مراحل التطور مع اضافة الاجتهاد في تحليل اللحظات الفلسفية النقدية لهذه المرحلة، وقد تبين من هذه الدراسة مهمة النقد كمهارة فكرية تساعد في نهضة الأمم، ويجب أن يكون هذا النقد وفق منهجية نقدية تسبقه خلفية فلسفية أو معرفية لدى الشخص الناقد باعتبار ان مهارات التفكير النقدي مهارة ضرورية لكل إنسان كونها تساعد بالوصول الى التفكير العقلي الحر الذي يمتاز بالمرونة والعمق باستخدام العقل دون أن يشوه التعصب والأفكار المسبقة ودون أن يوجه الآخرين، اي ان لا يقع تحت تاثير اي سلطة خارجية هنا ينطلق العقل بلا حدود بما فيه من التساؤلات وإعادة تعريف مصطلحات لا نهاية لها، أن تكون عند الإنسان شجاعة أن يعرف، فهذا هو معنى النقد أن يعرف الحقيقة في العملية النقدية أو التفكير الفلسفي النقدي الذي ميز فكر الحداثة بحيث اصبح أكثر واقعية وعلمية بتفعيل الوعي والتخلص من العقلية الخيالية وقاعدة المسلمات اللاهوتية في العصور الوسطى، هذا التفكير النقدي استطاع أن يؤدي إلى تغيير النظم الاجتماعية والدينية والسياسية، ومن ثم ما يميز فلسفة العصر الحديث هو أولوية العقل الواعي والعلم

وخدمة الثورة العلمية التي اصبحت نموذجا جديدا لكيفية حل المشكلات من خلال التفكير لعقلاني النقدي والتجريبي، والتي نلمس تاثيرها في الفلسفة المعاصرة بتغير المجتمع وتحرير الفرد من قيود العادات والسلطات الارتباطية. وبما اننا اليوم في ظل تراجع منزلة الفلسفة ولكي نواكب التطور بتحضر علينا أن نفعل الفكر النقدي الفلسفي،لا نقصد ان يتخذ النقد كغاية لذاته وإنما هو غاية الاستثمار في الانتقادات من أجل تقييم الأفكار وتمكين تصحيحها،فالفكرة التي لم تنتقد هي فكرة ميتة والنقد هو الذي يجعلها تخطو إلى الأمام، الفكر النقدي هو الذي يثير النقاش والجدال وكل ما ينتج عن النقد يجدد الفكر الإنساني لان آلية النقد هي آلية التجديد التي تمكنه من مواكبة متطلبات واقع العصر، النقد هو وسيلة للتغيير وهو الأقدر على الحياة والاستمرار لذلك علينا تفعيل آلية الفكر النقدي والمنهجية العلمية الدقيقة والابتعاد عن المناهج القائمة على المعرفة الدوغمائية لكي نتمكن من الولوج إلى المستقبل.

الهوامش

(١)نود ان نبين بانه كانت هناك محاولات نقدية قبل سقراط، لكنها لم تاخذ صورة منهجية مثل محاولات السفسطائية او محاولات الذريين..الخ)

(٢) موسوعة لالاند,اندريه،المجلد الاول،تعريب خليل احمد خليل،اشراف احمد عويدات,ط٢ منشورات عويدات، بيروت،باريس،٢٠٠١.ص ٢٣٨.

(٣) ديكارت / حديث الطريق،ترجمة عمر الشارني،ط١,مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت,لبنان,٢٠٠٨.ص٨٩.

(٤) يفوت،سالم/ المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر،دار الطليعة،بيروت، ص٢٨.

(٥) تناول ثلاثة موضوعات الفلسفة الطبيعية تنقسم الى ما بعد الطبيعة او علم العلل الصورية والغائية والى الطبيعة او علم العلل الفاعلة والمادية وهذه تنقسم الى الميكانيكا والسحر، اما الثانية فهي الفلسفة الخاصة بالانسان وتنقسم الى ما يتناول الجسم وما يتناول النفس علم العقل او المنطق وعلم الارادة او الاخلاق وما يتناول العلاقات الاجتماعية والسياسية واخيرا الفلسفة الالهية او اللاهوت الطبيعي للمزيد يراجع: فرانسس بيكون /الارجانون الجديد"ارشادات صادقة في تفسير الطبيعة"ترجمة,عادل مصطفى,رؤية للنشر والتوزيع,٢٠١٣،ص٣٦.

(٦) فرانسس بيكون /الارجانون الجديد"ارشادات صادقة في تفسير الطبيعة"ترجمة,عادل مصطفى,رؤية للنشر والتوزيع,٢٠١٣،ص١٠.

(٧) بيكون /الارجانون الجديد، ص٢٩-٣٠.

(٨) بيكون/الارجانون الجديد,ص١٤٧-١٦٦.

(٩) ديكارت/ حديث الطريق،ص١٤.

(١٠) ديكارت/ تاملات في الفلسفة الاولى،ترجمة عثمان امين،تصدير مصطفى لبيب,المركز القومي للترجمة، القاهرة,٢٠٠٩،ص٢٥٧.

(١١) ديكارت / حديث الطريق،ترجمة عمر

الشـارني،ط١,مركز دراسـات الوحـدة العربيـة ، بيروت,لبنان,٢٠٠٨، ص١٣.

(١٢) ديـكارت/ تامـلات فـي الفلسـفة الاولى،ترجمـة عثمـان امين،تصدير مصطفى لبيب,المركز القومي للترجمة، القاهرة,٢٠٠٩،ص٢٥٧.

(١٣) ديـكارت رينيـه / حديـث الطريـق، ترجمة عمر الشـارني، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص٢٣-٢٤.

(١٤) ديكارت/ تاملات في الفلسفة الاولى، ص ١٥.

(١٥) ديكارت/ تاملات في الفلسفة الاولى، ص٥٧.

(١٦) A Discourse،Rene :Discourse de la Method pour bien conduire sa raison et chercher la verite dans les scieneces,١٦٣٧,p

(١٧) ديكارت / حديث الطريق، ص٩٥-١٠٥

Heidegger، being and time،١٩٩٦,p.١٧٠

(١٨) للمزيـد يراجـع : باشلار,غاسـتون/ العقلانيـة التطبيقية،ترجمة بسام الهاشم,ط١ الموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع,بيروت,١٩٨٤

(١٩) يوهـان غوتليب فخته فيلسـوف المانـي واحد من ابرز مؤسسـي الحركة الفلسـقية المعروفة بالمثالية الالمانية للمزيـد يراجع: هاني يحيى/ دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، ص٣٠٩-٣١٢.

(٢٠) عطية،احمد عبد الحليم/ كانط وانطولوجيا العصر، الفكر المعاصر سلسـلة اوراق فلسفية دار الفارابي، بيروت,لبنان،ط١،٢٠١٠،ص١٦٣.

(21)Heidehher,Kant and the problem of Methysics,1990,pp8-11.

(٢٢) كانط / نقد العقل العملي، ترجمة غانم هنا،المنظمة العربية للترجمة،ص٢٣١.

(٢٣)هيجـل / فنومينولوجيـا الروح،ترجمـة ناجـي المؤنلـي، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيروت،لبنان،٢٠٠٦

(٢٤)ولتـر سـتيس/ هيجل المنطق وفلسـفة الطبيعة، تقديم زكـي نجيب محمود، ترجمة امام عبـد الفتاح امام، المجلد الاول من فلسـفة هيجـل دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،٢٠٠٧، ص١١

(٢٥)افاية،محمد نور الدين/ في النقد الفلسـفي المعاصر مصادره الغربية وتجلياته العربية،مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٤،ص٣١.

(٢٦) هيجـل / فنومينولوجيـا الروح،ترجمـة ناجـي المؤنلي،ص٣١٣-٣٧٧.

(٢٧) كيلة، سلامة / ما الماركسية تفكيك العقل الاحادي، روافد للنشر والتوزيع،٢٠١٤،ص٥٧-٥٨.

(٢٨) كيلة، سلامة / ما الماركسية تفكيك العقل الاحادي، ص١٧٢.

(٢٩) وجـد التعبيـر الناضج لها عند ابيقـورس وبالذات عند لوقرايطس، وهـي النظرية التي ترى ان العالم يتكون من اجزاء صغيرة من جواهر المادة تعارض المادية بمختلف انواع النزعة الروحية للمزيد يراجع : طوني بيـت واخرون/ مفاتيـح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع،ص٥٨٢.

(٣٠)الـذي انتقـد بشـكل حـاد الطبيعـة المثاليـة للجدل الهيجلـي وقـدم فـي كتاباته الفلسـفية تحليـلا نقديا للنظرة المسـيحية والهيجليـة للدين نظرا الى نزعته الى المذهب الطبيعي في دراسـة الانسان حيث نظر الى الله بوصفه انعكاسـا لذاتية الانسان فكان مؤسسا لفلسـفة انسانية جديدة بعد معارصته للمبدا اللاهوتي الالهي القديم بمبدا جديد هو المبدا الانثربولوجي.

(٣١) ينظر فيورباخ الى ماهية الإنسـان بشـيء مجرد، بشـيء يخص الإنسـان كفرد، يقول إن البشـر نتاج الظـروف والتربيـة، نتـاج رد فعـل الكينونة على الوعـي. وكان يظهـر للعيـان علـى هـذا النحو أن الإنسـان، بما هو عليـه من حال، برأسـه وذراعيه وسـاقيه، وأن تميز عن سـائر العالم الحيواني، ليس سـوى جهاز حسـي محدد تعـرض لتأثيـر الطبيعة المحيطة. فأفكاره جميعا هـي انعكاس تلك الطبيعة. وعليـه، ما الإنسـان فـي نظر فيورباخ إلا عنصر سـلبي يسجل بكل دقة جميع الانطباعات التي يتلقاها من الطبيعة)

(٣٢) يُفهم التطور عمومًا على أنه عملية بطيئة وتدريجية من دون انقطاع أو اضطرابات عنيفة. في السياسة، كثيرا ما يستخدم هذا النوع من الجدل كمبرر للإصلاحية. لسوء الحظ، فإنه يقوم على سوء فهم. الآلية الحقيقية للتطور .هذا ليس مفاجئًا لأن داروين نفسه لم يفهم ذلك. في السبعينيات من القرن الماضي فقط، مع الاكتشافات الجديدة في علم الحفريات التي قدمها ستيفن جاي جولد، الذي اكتشف نظرية التوازن المتقطع، تم إثبات أن التطور ليس عملية تدريجية. بل ان هناك فترات طويلة لا يلاحظ فيها تغيرات كبيرة، ولكن في لحظة معينة، يتم كسر خط التطور بفعل انفجار، ثورة بيولوجية حقيقية تتميز بالانقراض الجماعي لبعض الأنواع والصعود السريع للأنواع الأخرى.

(٣٣) كيلة، سلامة / ما الماركسية تفكيك العقل الاحادي،ص٨٦.

(٣٤) بيير مونتيبيلو/ نيتشة وارادة القوة، ترجمةجمال مفرج،الدار العربية للعلوم ناشرين، منشورات الاختلاف،٢٠٠٩،ص٢٠-٢٢.

(٣٥) نيتشة / العلم المرح، ترجمة حسان بورقية –محمد الناجي، افريقا الشرق، ١٩٩٣، ص١٤٢.

(٣٦) شهدت المسيحية نقدا داخليا من قبل توما الاكويني « ١٢٢٤-١٢٧٤» ومارتن لوثر»١٤٨٨-١٥٤٦ « وقد انتقد نيتشة الاصلاح اللوثري وعده بالراهب الفظيع كونه اعاد ترميم الكنيسة واعادة تثبيتها بعد ما كانت مقهورة هذه الديانة التي كانت نفيا لارادة الحياة(٣٧) للمزيد يراجع :نيتشه / هذا هو الانسان، ص١٤٥

(٣٨) نيتشة / افول الاصنام، ترجمة حسان بورقية –محمد الناجي، افريقا الشرق، ١٩٩٦،ص٣٩-٤١.

(٣٩)التريكي،فتحي،رشيدة التريكي/ فلسفة الحداثة، مركز الانماء القومي،بيروت،لبنان، ١٩٩٢.

(٤٠) نيتشة / الفجر،ترجمة محمد الناجي، افريقيا الشرق، ٢٠١٣، ص٥٠.

(٤١) نيتشة / اصل الاخلاق وفصلها، ترجمة حسن قبيسي،١٩٨١.

(٤٢)(مشتقة من العدم، والعدم ضد الوجود،وهو مطلق واضافي(المعجم الفلسفي ج٢/جميل صليبا،دار الكتاب،بيروت، لبنان،١٩٨٢،ص٦٤)هي انكار المطلق حسب تعريف الموسوعة الفلسفية ليودين وروزنتال،ص٢٩٤ وبمعنى اخر ليس هناك قيم ذات قيمة او ذات معنى حقيقي سواء كانت قيم دينية او اخلاقية هناك ثلاث انواع للعدمية ١-العدمية الفلسفية ٢- العدمية الاخلاقية ٣- العدمية السياسية المعنى النيتشوي للعدم = قيمة عدم فقد عارض نيتشه العدمية على أساس أنها تضعف من شغف الفرد بالحياة. فيقول نيتشه: ماذا تعني العدمية؟ – أن القيم العليا تقلل من قيمتها بنفسها".للمزيد يراجع : نيتشة / ما وراء الخير والشر ترجمة، جيزيلا فالور حجار، مراجعة موسى وهبه،دار الفارابي،بيروت، لبنان، ٢٠٠٣،ص١٢٤.

Critical Shifts in Philosophical Thinking

Asst. Prof. Muntaha Abd Jassim (PhD.)

Abstract

There is no doubt that every original philosophy is a critical philosophy essentially; they are two sides of the same coin, and mutually inclusive. Philosophy and its history are based on the principle of criticism. The purpose of viewing criticism as a philosophical concept is to show the shifts it undergoes in the context of its formation in philosophical thought, i.e. as an epistemological revolution that has rearranged the state of the mind, and led it to significantly revise many of its major concepts and arguments.. On these bases, we must first explore the meaning(s) of criticism and its tools and/or mechanisms. What do we criticize? Does criticism have a purpose? How has it been invested philosophically? First, the concept of criticism is explained, described and analysed from a critical thinking perspective, and the question of how it is manifested in the critic›s thought is addressed; second, the historical roots of methodological criticism starting with Socrates and ending up with Descartes and his contemporary Francis Bacon, and passing through the rational criticism with Kant, then the Hegelian idealist dialectical criticism and the economic materialistic dialectical criticism with Marx, and finally the Nietzschean value of criticism are all fathomed up. In the course of our present research, the analytical, comparative, and critical method to diagnose the tools for transforming the images and details of critical thought is employed.

Keywords: Criticism, the Rational Method, the Idealist, the Materialist dialectic